

حامد جامع

كاتب و باحث

عدن، صحيفة 14 أكتوبر، العدد (7998)، السنة 23، 19/4/1990م

### كلما أمعن في الليل.. توهج \*\*

يوم طوى الموت ناظم حكمت ، و كانت النفس غضة و المرء يعيش ما يسمى بسنوات التكوين و كل الآفاق تتبدى زاهية و الروح محمولة بالمطامح و الأشواق، كان العمر مختلفا و كانت السنوات مختلفة، أذكر أنني قرأت حينها مقالة لكاتب أسمه رفيق خوري في مجلة شهرية إسمها " العلوم" كانت تصدر عن دار العلم للملايين في بيروت . كانت المقالة مرثية للشاعر التركي الإنساني العظيم ، و تطرق الكاتب لقصيدة للشاعر كان قد قال فيها ما معناه إنه بعد أن يموت فإن الرفاق و الأصدقاء و الأحبة سيصعقون لحظة ، و يحزنون قليلاً، و يتحدثون عنه بعض الوقت ، ثم لن يلبثوا أن ينسوه بعد عام، و أختتم رفيق مقاله بالتساؤل : ترى .. هل ننسى ناظم حكمت بعد عام؟!

في السابع من أبريل الحالي مر عام بالضبط على رحيل الأستاذ سلطان ناجي عن دنيانا إلى دار الأبدية . و لكن ما أبعد سلطان مثله مثل ناظم حكمت، عن النسيان بعد عام أو على رغم مر الأعوام، بل على العكس ما أشده وجوداً و حياة رغم الغياب جسداً ، أو لعل ذلك اللون من الغياب هو الذي يتيح لنا للأسف ، لعالم التبر كالترب ملقي في أماكنه، يتيح لنا بأسى أن نستشعر مزايا الإنسان و عطاء الباحث و أن نتأمل في بعض دروس و دلالات أسلوبه و منهجه. و لن نكرر القول ما أجل المهمة وما أجدرها بالتحقيق، حسبنا شذرات هي كل الحيلة .

و يقال أن الإنسان و الباحث و الدلالة كانت تمتزج في شخص الأستاذ سلطان بحيث يستحيل الفصل بينها أو تحديد أين ينتهي أي من هذه المعاني و أين يبدأ الآخر. فكان يلقاك خفيض الصوت هادئ النبرة قليل الحديث كأنه يضيق بالحديث ذاته، يقول ما لديه و كأنه لا يقول أو كأن ما يقول لا يعدو أن يكون بديهية لا يستحق الوقوف عندها - و الوقوف طويلاً! . كان ذات يوم يحدث باحثة أمريكية زائرة و قال لها أن زميلاً ماركسياً درس في الإتحاد السوفيتي ذلك الذي يرجع له الفضل في تأسيس كيان يضم مختلف الأدباء اليمنيين ، و أطرق برهة و أستمر في الحديث كأنه لم يلق على مسامعها بأي شيء .

ما بال هذا النسيح من التفاصيل الإنسانية الصغيرة؟ إنه في خلفية الصورة التي تعج بالألوان الصارخة و الأصوات الصاخبة ، و التي تصدر عن روح من الإستبداد تسعى لكي تسلب الإنسان كل حق في التفكير و كل خيار ناهيك عن حق القرار ، هذا إذا لم تذكر ظلال أو أطياف أخرى في ذلك المسرح العجيب.

لذا من الطبيعي أن يشرق سلطان و أن تّذوي الوجوه الصفراء مرضاً و يأساً و يلبساً. من الطبيعي أن تستعيد الحقيقة إعتبارها، حقيقة أن الجدل لإجتماعي، أي القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي، ستفرض نفسها حتما ، و هذه القوانين لا تفتعل، كما أنه مهما طال بها الكبت لا تموت.

## هل ناديت حياً ؟

و لكن الغياب الفاجع يتجسد في الجانب الآخر. فلم يعد خلال العام بأكمله طبع أي من مؤلفاته و هي الحيوية بغض النظر أو برغم تقادم الزمن و نفذت نسخها منذ وقت طويل، و لم يتم جمع العشرات من أبحاثه و دراساته المتناثرة في الصحف و المجلات و تبويبها و جدولتها للنشر، و لم يتم نشر بعض من أدق الكتابات من عرض للكتب و الترجمات التي تركها وراءه مخطوطة، و العزاء أن الوقت لم يفت بعد.

كما تظل ماثلة مقترحات شتى مما يتكرر الحديث عنها عند الرحيل و في ذكرى الأربعين ثم تلغيتها مشاغل كل يوم ثم تدفعها إلى النسيان. و من هذه المقترحات فكرة الأستاذ هشام علي بأن تنظم ندوة مرة كل عام أو عامين ، سواء من قبل الجمعية اليمنية للتاريخ و الآثار أو مركزي الدراسات أو جامعتي عدن و صنعاء، و أن تحمل إسم ندوة سلطان ناجي في تاريخ اليمن الحديث و المعاصر . و تظل ماثلة أيضا فكرة تسمية مركز من مراكز البحث العلمي في الوطن اليمني بإسمه. و من اليسير كذلك أن يزدان قسم التاريخ في كلية التربية العليا ، و هو الذي كان سلطان من مؤسسيه و ارتقى نفر من طلبته إلى مواقع المدرسين والأساتذة فيه، أن يزدان بتمثال نصفي له .

## كتاب أحبه..

جرت عادة العالم المتحضر أن تحتفي الأوساط الثقافية بمثل هذه المناسبة بإصدار كتاب أو كتب تحوي بين دفتيها مجموعة أبحاث مرفوعة إلى صاحب الذكرى أو تصدر كتابا حول إنتاجه يضطلع بتأليفه فريق يقوم بدراسة مآثره و آثاره، و ثمة أمر أسهل و أقرب مثالا، فلاشك أن الكثيرين يذكرون كم أحب سلطان ناجي كتاب "عدن في ظل الحكم البريطاني 1839-1967" لمؤلفه آر جيه جافين الصادر في لندن عام 1975م . لقد فتن به سلطان ناجي حقاً ، شده من عدة نواح و ربما لأنه يستوفي الركن الأساسي في أي منهج للبحث في كل شيء فما بالك في التاريخ و هو الإحاطة بأكبر قدر ممكن من المعطيات و من ثم الإنطلاق. و قد ترجم الأستاذ سلطان ناجي ملخصاً له نشر في مجلة الخليج العربي التي تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة و عرض أن يقوم بترجمته كاملاً لو وجد ناشراً يتكفل بأعباء ذلك.

و كم يكون جميلاً لو قامت وزارة الثقافة أو إحدى جامعتينا أو ربما مجلة الإكليل و بحكم طبيعتها الخاصة، بشراء حق ترجمة الكتاب من الناشر و أن تتولى توزيع الترجمة في العالم العربي كله ، و أن يضطلع بمهمة الترجمة فريق من زملاء سلطان و طلبته و محبيه، و ما أجمله أثراً نرفعه إلى ذكرى سلطان في العام القادم و الوطن الذي عاش له و غاب و هو يتمنى وحدته قد خلف وراءه التجزئة و التقسيم مرة و إلى الأبد .

و ها قد مر عام على سلطان لم يكن ككل الأعوام . ليس كأني عام سبقه و لا كأني عام يليه . عام لا يتكرر . أحد الأعوام التي تترك بصماتها في التاريخ و العملية الكبرى التي جرت متسارعة خلال ذلك، خطوات الشعب الذي يغدو و السير نحو الوحدة بلغت نقطة اللا رجوع، ثمة طريق وحيد إلى

الأمام، و لا مكان للمراوحة أو لإنتكاس. و بالبؤس محاولات الإلتفاف على الديمقراطية شرط الوجود كما يقول الدكتور أبوبكر السقاف و كما تجمع كل قوى الشعب الحية و جماهيره العريضة .

و تمضي الأيام غير رتيبة في هذا الموسم الطيب الذي نحياه . و يبقى سلطان ناجي ملء الوجدان .

\* مقتطف من مقالة

\*\* للمزيد حول كتاب "عدن تحت الحكم البريطاني" المشار إليه في المقالة راجع: " قائمة الأعمال".

# كلما أحسن في الليل .. تدرج

وقد ترجم الأستاذ سلطان ناجي ملخصاً له نشر في مجلة الخليج العربي التي تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة وعرض أن يقوم بترجمته كاملاً لو وجد الناشر يتكفل بأصاها ذلك.

وكم يكون جيلاً لو قامت وزارة الثقافة أو إحدى جامعاتنا وما مجلة الأكليل وعلمك طبعاً الخاصة بترجم حتى ترجمة الكتاب من التترو وأن تولي تدرج الترجمة في العالم العربي كله وأن يصطلع مهمة الترجمة فريق من زعماء سلطان وطنيه وعهده وما أمنه أترا زعمه أن ذكرى سلطان في العام القادم والوطن الذي عاش له وعاب وهو يتسنى وحسنه قد عطف ورأه التجرة والتقسيم مرة وإلى الأبد.

وقد قد مر عام على سلطان لم يكن كذلك الأوسم . ليس كأي عام سبقه ولا تأتي عام يليه . عام لا يتكرر . أمم الأعداء التي تركت ضحاياها في التاريخ . والسفينة الكبرى التي حوت متسارعة خلال ذلك عطوات الشعب الذي يخذ السيرة الواحدة بلغت نقطة الارتداد . والامكان لتة طريق وحيد إلى الأمام . والتمسك لشعرونا أو الأكتاس . والتمسك بمولات الانكشاف على الديمقراطية شرط الوجود كي يكون الدكتور أبوبكر السقاف وقد جمع كل قوى الشعب الحية وجماهيره العريضة .

وتعني الأيام غير رتيبة في هذا الموسم الطيب الذي نحياه

## جوامعها مع

- ١- المدخل التركي وخطبات لتشكل
- ٢- مدخل
- ٣- مدخل
- ٤- حامية عدن والشجرة للثانية
- ٥- العلاقات الأخرى - زكية
- ٦- وتخطيط حدود اليمن
- ٧- منذ عدم المدخل في السن
- ٨- والحرب ١٩٠٥ - ١٩١١
- ٩- الديمقراطية والسحر
- ١٠- الاستقلال
- ١١- القوات الجوية والتوابع
- ١٢- الأوج والانسحاب
- ١٣- وملاحقه ١٩٤٥
- ١٤- القيسون والولادة البع في عدن ١٩٣٩-١٩٤٧
- ١٥- سكان عدن
- ١٦- احوال تجارة عدن النفوتة
- ١٧- تجزيت السحر
- ١٨- تم ملاحظة على المصادر ويؤسرها
- ١٩- وفهرس أي أن الكتاب صنفاته
- ٢٠- الأربعة والذين وسعين وأن مكتب عليه
- ٢١- مؤلفه فرباً عشرين عاماً ورجع إلى فهد
- ٢٢- من الأرشيدات ثلثة وطلع على آلاف
- ٢٣- الرابع - والحديثهم معاً قبل بسط
- ٢٤- الخلق ليس إلا وليس القديم - كل
- ٢٥- ذلك يعمل منه عملاً ضيقاً على التقايس
- ٢٦- ولازب في أنه عدا وسيق مرصفاً شمسها
- ٢٧- في نظر الكثيرين غرباً وشرقاً بل زك في
- ٢٨- العالم العربي . والخط .

ناجي في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر . ونقل مائة أيضاً فكرة لتسمية مركز من مراكز البحث العلمي في الوطن اليمني باسمه . ومن اليسر كذلك أن يردان قسم التاريخ في كلية التربية العليا وهو الذي كان سلطان من مؤسسيه . وارتق حرم من ملته إلى مواقع التدريس والقيادة فيه . إن يردان يتنقل تعني له .

## كتاب أحبه

جرت عادة العام المتسمر أن تحفي الأوساط الثقافية بمثل عمله للتسمية



سلطان ناجي

بأحد أركان كتاب أو كتب تحوي بين دعيتها بمجموعة أبحاث مرفوعة إلى صاحب الذكرى أو تصدر كتاباً حول تراثه يصطغ بتأليفه فريق يقوم بتراصة مذكره وأكثره . وقد امر أسهل وأقرب مثلاً . فلذلك أن الكثيرين يذكرون كم أحب سلطان ناجي كتاب عدن في عقل الحكم البريطاني ١٩٣٩ - ١٩٤٧ مؤلفه عام ١٩٧٠ قد قرأ به سلطان ناجي

بمركزية أدرس في الأبحاث السوفيتي ذلك الذي يرجع له الفضل في تأسيس كيان يضم مختلف الأديان المزمين . وطرق روعة . واستمر في الحديث كأنه لم يلق على مسامحاً بأي شيئ . ما بال هذا التسرع من التفاضيل

الانسانية الصغيرة ؟

انه في خلفية الصورة التي يسج بالألوان الصارخة والاصوات الصاعدة والتي تصدر عن روح من الاستعداد لسعي لكي تسلب الأسماء كل من في التمييز وكل حيار تعارك من من القرار هذا افا لم تذكر خلال أو لطيف أخرى في ذلك التسرع المعيب .

لذا من الطبيعي ان يشرق سلطان وأن تلوى الوجوه الصفراء مرت وأبداً وبأسا من الطبيعي أن تستعيد الحقيقة اعتبارها . حقيقة أن الجدل الاجتامي أي القوانين الموضوعية لتطور الاجتامي ستعرض نفسها حثاً . وهذه القوانين لاقتتل . كما أنه معها حال يا الكيت لا توت .

## هل تاليت حياً ؟

ولكن الغياب الفاجع يجسده في الجانب الأخر . ثم بعد خلال العام بالكلمه طبع أي من مؤلفاته وهي الحيوية بعض النظر أو رغم قدام الزمن وفقدت نسخها منذ وقت طويل . ولم يتم جمع المنشورات من أبحاثه ودراساته المتناثرة في الصحف والمجلات واليومية وجعلتها

يوم طوى الموت نظم حكمت وكانت النفس غصة والزم جيش مايسس بسوات التكوين وكثر الأفاق تشدى رابعة والبروح محسولة بالظلمع والانسواق . كان العمر خلفاً وكثيراً السبوت خلفاً . لا تكرر في قرأت حينها مدنا لكتاب اسمه وقل حوري في خلف شهرة اسمها والعلوم كانت تصدر عن دار العلم للتراث في بيروت . كانت الثقافة مربية للشاعر التركي الاستاذي الطبع وطرق الكتاب للعبدة للشارم كأنه قد قال فيها مامعانه أنه يند أن يوت فان الرفاق والاصداق والأمة سيعطون لحظة ويترجون قليلاً ويتحدثون عنه بعض الوقت ثم لن يتبوا أن يسوه بعد عام . واعتزم رفيق مقفاله

بالسؤال : ترى ... هل تسى نظم حكمت بعد عام ؟

في السابع من الربيع الخالي مر عام بالعبط على رحيل الأستاذ سلطان ناجي عن دنيا إلى دار الأبدية . ولكنك من الأستاذ سلطان . متعملي نظم حكمت . عن السبان . بعد عام أو على رغم من الأوجاع بل على العكس ما تشده وجوداً وحيوة ورغم الغياب حسداً لم لعل ذلك اللون من الغياب هو الذي يتبع لنا للأسمف العام كثير كالترب ملق في أمالكه . بلح لنا بأسمى أن نستشعر حراً الأسمان وعظمة الباحث وأن نأمل في بعض دروس ودلالات أسلوبه ومنهج . وأن نذكر القول ما أجل المهمة وما أعددها بالتفصيل . حسنا لشدات هـ